جامعة عين شمس

كليـــــــة الآداب

قسم اللغة العربية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في النقد الأدبي

تحت عنوان

الرحلة في روايات محمد بن سيف الرحبي

(دراسة سردية سيميولوجية)

الباحث

ناصر بن حمود بن حميد الحسني

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور/ مصطفى عبدالشافي الشورى

أستاذ الأدب والنقد ـ قسم اللغة العربية

كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

الدكتورة/ منى محمد طلبة

أستاذ النقد الأدبي ـ قسم اللغة العربية

كلية الآداب-جامعة عين شمس

القاهرة

1440هـ / 2019م

جامعة عين شمس
كليـــــــة الآداب
قسم اللغة العربية

رسالة دكتوراه

اسم الطالب : ناصر بن حمود بن حميد الحسني

عنوان الرسالة :الرحلة في روايات محمد بن سيف الرحبي (دراسة سردية سيميولوجية)

لجنة الإشراف والحكم

أ.د/ مصطفى عبد الشافي الشوري — **رئيسًا ومشرفًا**

أستاذ الأدب والنقد - قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة عين شمس

أ.د/ عبد الناصر حسن محمد — **عضوًا**

أستاذ الأدب والنقد – ووكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث - جامعة عين شمس

أ.د/ اشرف محمد علام — **عضوًا**

أستاذ بكلية الآداب - جامعة حلوان

أ.د/ منى محمد طلبة — **مشرفًا مشاركًا**

أستاذ النقد الأدبي – كلية الآداب - جامعة عين شمس

القاهرة

1440هـ / 2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

صدق الله العظيم

سورة العنكبوت: ٢٠

الإهداء

إلى الصَّديق العزيز الكاتب والروائي

محمَّد بن سيف الرَّحبي

نموذجاً عُمانياً رائداً للكتابة والإبداع

ومشروعاً ثقافياً عربياً تحقُّ لنا أن نفتخر به

شكر وعرفان

بداية أود أن أتوجه بالشكر الجزيل للسادة الأساتذة الكرام بكلية الآداب جامعة عين شمس بجمهورية مصر العربية دون استثناء، وعلى رأسهم الفاضل المشرف الرئيس الأستاذ الدكتور مصطفى عبد الشافي الشوري؛ لما قدمه لي من عون ومساعدة، وتوجيه ونصح وإرشاد، وتوضيح لمختلف جوانب هذا البحث، والمشرف المشارك الأستاذة الدكتورة منى محمد طلبة التي قدمت توجيهاتها العلمية إثراء عظيماً لهذا العمل، لهما مني كل الشكر والتقدير والعرفان؛ فلقد شدا من أزري وأنارا لي سبل البحث العلمي بما يتمتعان به من رؤية منهجية، ورعاية علمية، وتفهم وانفتاح على كل الآراء العلمية. فلهما مني كل الشكر والتقدير والامتنان.

الفهرس

الموضوع	الصفحات
المقدمة:	٦-١٧
الفصل الأول: الإطار النظري	١٨-٤٠
المحور الأول: محمد بن سيف الرحبي وعالمه الروائي.	١٩- ٢٤
المحور الثاني: منطق الأحداث في الروايات الخمس.	٢٥-٣١
المحور الثالث: مدخل للعلامات والتحليل السميوطيقي لرواية الرحلة.	٣٢- ٤٠
الفصل الثاني: سميوطيقا العنوان	٤١ -٥٧
١. سميوطيقا العنوان في الروايات:	٤٤- ٥٣
٢. "رحلة أبو زيد العماني": رحلة السارد بين عمان ومصر ؛ تناص الرحلة بين سيرة أبو زيد الهلالي وأبو زيد العماني.	
٣. الخشت: العلامة لعبة، أم اللعبة علامة؟!!.	
٤. السيد مر من هنا: رحلة في التاريخ وخيال الحاضر معاً.	
٥. الشويرة: العلامة السحر؛ العلامة التعويذة.	
٦. اسمها هند: رحلة في العالم الافتراضي.	
٧. سميوطيقا العنوان في روايات الرحلة والسيميائيات التداولية.	٥٤- ٥٧
الفصل الثالث: سيميوطيقا الأنا والآخر	٥٨- ١٢٥
• البحث عن الذات في صورة الآخر.	٥٩- ٧٠
• سمات الشخصية الروائية المرتحلة.	٧١- ١٠٦
• الشخصية الروائية المساعدة.	١٠٧-١٠٩
• الشخصية المعرقلة أو الشخصية الضد.	١٠٨- ١٠٩
• مرجعية الشخصيات.	١٠٩- ١٢٠
• المرأة بين الحضور والغياب في كتابة الرحلة.	١٢١- ١٢٥
الفصل الرابع: سميوطيقا المكان.	١٢٦- ١٥٩
• المكان والزمان والفضاء الروائي	١٣٢- ١٣٣
• سميوطيقا المكان في روايات محمد الرحبي	
• سميوطيقا المكان: الفضاء وطبيعة اللغة الوصفية:	١٢٨- ١٣١
- سميوطيقا المدن:	١٤١- ١٥٣

- المدينة في رحلة أبو زيد العماني
- المدينة في "السيد مر من هنا"
- جدلية القرية والمدينة في رواية الشويرة
- المدن المتخيلة في "اسمها هند"

٥- سميوطيقا المكان والمراوحة بين الفضائين الداخلي والخارجي ١٥٥- ١٥٩

الفصل الخامس: سميوطيقا الزمان. ١٦٠- ١٩٩

- سميوطيقا الزمان الروائي: منطق البدايات والنهايات. ١٦١- ١٦٣
- منظومة تعلي الماضي: ١٦٤- ١٧٠

"السيد مر من هنا": الماضي التليد /الزمن الأمثل. بين السرد والتاريخ:

- منظومة تعلي الزمن الحاضر: ١٧٢- ١٨١
  - "رحلة أبو زيد العماني": تناص السيرة وجدل الحاضر.
  - "الخشت" رواية الجسد وتعدد الأصوات في البناء الروائي.
  - "الشويرة" وحياد السارد:
- منظومة تعلي الزمن المستقبل: ١٨٢- ١٨٧

"اسمها هند" ومستقبل الإنسان في العالم الافتراضي:

- في الدّلالات الثّقافيّة للرحلة في عالم الرّحبي الروائي: ١٨٨-١٩٩
- فضاء الروايات بين المكون التاريخي والسير ذاتي.
- فضاء الروايات بين الخطابين السردي والوصفي

الخاتمة وأهم نتائج الدراسة. ٢٠٠- ٢٠٥

ثبت المصادر والمراجع. ٢٠٦- ٢١٣

ملخص الرسالة باللغتين العربية والإنجليزية. ٢١٤- ٢١٧

المقدمة

يعد "أدب الرحلة" أو "قصّة السّفر" خطابا مركزياً وموضوعاً رئيساً في مشهد الرواية العربية الحديثة والمعاصرة، وقد تشكل هذا الخطاب بوضوح عبر تاريخ الرّواية العربيّة ورحلة تطورها الفني ذاتها، مثلما تشكل في رحم متونها الروائية ونصوصها المختلفة عبر كل مرحلة. هذا تقريبا أهم ما يقر به معظم نقاد الرواية العربية والمؤرخين لها؛ الذين وقفوا على مراحل تطورها، وعملوا على فحص نصوصها الدالة وسماتها الفنية.

ويتفق الباحثون والنقاد كذلك على أن تجليات هذا الخطاب وما تتيحه الرحلة من مساحات فنية، وما توفر من اكتساب للمعارف، وتحقيق التّواصل مع الذّات والغير، الأنا والآخر، كلها مساحات فنية وإنسانية لا حدود لها.

ويشيرون جميعاً في تحليلاتهم لموضوعة الرحلة -بطرائق نقدية مختلفة- إلى اعتبارها مدخلا مهما للدّهشة والإثارة الفكرية والروحية، وقد ذهب بعضهم إلى اعتبار أن الرحلة تمثل بدايات الفن القصصي العربي قديما؛ منذ رحلات ابن بطوطة في القرن الرابع عشر وكتاب (رحلة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ١٣٥٥م. وكذلك رحلة ابن جبير...، بينما رأى بعضهم الآخر أن بداية الشكل الحقيقي للرواية العربية الحديثة كانت مستوحاة من كتابة السيرة الذاتية وتجارب الرحلة في العصر الحديث؛ وبخاصة مع كتاب "رفاعة رافع الطهطاوي" "تخليص الإبريز في وصف باريز" والصادر في ١٨٣٤م؛ حيث اتخذت معه تلك الكتابة الفريدة -الكاشفة للذات مقابل الآخر- موقعها الفني، معبرة عن قدرة الخالق المتمثلة في عجائب خلقه، واختلاف ألسنتهم وألوانهم، الواعية بتنوعات الثّقافة الإنسانية...[١]

بينما يراها بعض الباحثين جنساً أدبياً متميزاً في كل الثقافات، ونوعاً فنياً مستقلاً وحاضراً في المنتج الأدبي لمختلف الثقافات، منذ بداياتها حتى اللحظة، واعتبروها صنفاً أدبياً مستقلاً ومميزاً له تقاليده الفنية، وله دوره في تلاقح الحضارات، حيث يزاوج هذا الجنس في كتابته المتفردة بين

---

[١] ينظر في ذلك عدد غير قليل من الدراسات المتخصصة والمعمقة؛ منها على سبيل الذكر لا الحصر:
-شوقي ضيف: الرحلات، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٥٦م، من المقدمة ومواضع مختلفة.
- عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية في مصر ١٨٧٠-١٩٣٨م. دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- سيد حامد النساج: مشوار كتب الرحلة قديماً وحديثاً، مكتبة غريب. د.ت وفيه يتناول المؤلف موضوع الرحلة والكتب التي ألفت في هذا الإطار، منذ رحلة ابن جبير.... وكل من أتوا بعده من الرحالة العرب الذين سجلوا رحلاتهم في أسلوب نثري، وحتى الرحلات التي كتبت في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي القرن العشرين... ويتناول اتجاهات الرحلة وأبعادها وأساليب كتابتها على اختلافها.
-شعيب الحليفي: الرواية والسفر، تقاطعات التخييلي والتسجيلي، العبور إلى التخييل، منشورات مختبر السرديات، تونس، ٢٠١٥م، ص٤.

الحقيقة والخيال، بين السيرة الذاتية والأثنوغرافيا ...، كما يجمع مسار الرحلة بين عدد من الحقول العلمية المختلفة... والأصناف الأدبية... والأنساق الاجتماعية المتباينة..، فضلاً عما يتطرق إليه موضوعها من قضايا إنسانية آخرى...[١].

لقد حملت إذن أغلب مراحل تطور الرواية العربية أجنتها وثمارها الدالة على مركزية قصة السفر أو "خطاب الرحلة" منها. فمنذ كانت الكتابات الروائية قالباً تعليمياً صرفاً، ثم بعد أن تحولت نحو روايات التسلية والتشويق، وكذلك في مرحلة شيوع الروايات المترجمة والمعربة، مروراً بالروايات المستوحاة من السير الذاتية..... وازدهارها ونضجها حتى وصولها للعالمية والوصول إلى جائزة نوبل في الأدب عبر بوابة الرواية العربية، ممثلة في نجيب محفوظ، واسهامات غيره من القامات الروائية السامقة...، انتهاء إلى الخطاب الروائي الراهن ولحظته الحاضرة...، أقول: لقد حملت كل هذه المراحل أجنة هذا الخطاب الرئيس، وحلقت بأجنحته، واحتفل به الروائيون العرب.

وحسبما ما يذهب نقاد الرواية العربية إليه وما يؤكده معظمهم -عبر دراسات عديدة متنوعة بما فيها الدراسات المقارنة- أن "روايات الرحلة" وقصص السفر والترحال في الأدب العربي الحديث قد لعبت دوراً رائداً في تأسيس هذا اللون الأدبي، إلى الحد الذي حدا ببعضهم بالذهاب إلى أن هذا اللون الروائي يكاد يكون عربياً خالصاً، ومرجعهم في ذلك ما حملته من قبل "رحلات ابن بطوطة" و"ابن جبير" من حمولات سردية تؤسس لهذا اللون من الكتابة.

لكن الدراسات التي ترصد وعي الخطاب وجمالياته تؤكد أن البدايات الحديثة لهذا اللون الروائي قد صدرت على يد "رفاعة رافع الطهطاوي" في كتابه الفريد "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، هذا العمل الذي يراه أغلب الباحثين علامة فارقة في تأسيس كتابة أدب الرحلات في الرواية العربية، وكيف سعى الطهطاوي إلى تصوير الرحلة على هذا النحو الفني، الذي يضع هذه التباينات في لوحات فنية راقية، ويكشف عن مواجهة الذات والآخر ... وهو الأزهري الذي رشحه شيخه "حسن العطار" للسفر مع بعثة علمية مصرية إلى فرنسا، وشجعه على إنجاز الرحلة...، وعلى وصف العجائب والغرائب في الدنيا...، وكيف قدم الطهطاوي في هذا الكتاب أفكاراً جديدة على المجتمع العربي. [٢].

وقد استمر هذا اللون الفني في الحضور على يد علامات مهمة لا سبيل لأي باحث إلى نكرانها مثل "أحمد فارس الشدياق" ومن بين كتاباته "الساق على الساق" كذلك كتابه "الواسطة

---

[١] ينظر: محمد أشتاتو: أدب الرحلات ودوره في تلاقح الحضارات. نوفمبر ٢٠١٨م.

[٢] ينظر للمزيد حول ذلك المؤلف وتحليله النقدي بوصفه أساساً للرواية العربية الحديثة: عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية في مصر ١٨٧٠-١٩٣٨م. دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م. الصفحات ٥٧-٦٧.

في أحوال مالطة"، وكذلك "زكي مبارك" وكتابه "ذكريات باريس"، وجورجي زيدان "رحلة إلى أوربا"... قبل أن يأخذ نجم الرواية في الصعود والتألق مع تجليات "طه حسين"، وكتابات "توفيق الحكيم" الرائدة في عدد من رواياته مثل "زهرة العمر" و"عصفور من الشرق".

كذلك سنجد عدداً من كتاب الرواية العربية المبكرين مثل عبد الوهاب التازي المغربي في "رحلتي الأولى إلى فرنسا" ومحمد كرد علي السوري في "غرائب الغرب"...، ناهيك عن الجهود الروائية المميزة التي جاءت مع تلك الكوكبة الكبيرة من أدباء القصة والرواية الذين أضافوا بكتاباتهم لهذا الخطاب أبعاداً فنية جديدة مثل "يحي حقي" وعلامته الخالدة "قنديل أم هاشم"، و"يوسف إدريس" في "النداهة" و"نيويورك ٨٠"، و"الطيب صالح" مع رائعته الشهيرة (موسم الهجرة إلى الشمال).

كذلك سنجد عدداً هائلاً من الكتابات الأدبية الجديدة التي ظهرت في العقود الأخيرة مع النصف الثاني للقرن العشرين عن سرد الرحلات عبر فن الرواية، كما في روايات "خيري شلبي"، والكاتبة "نوال السعداوي" التي خصصت عددا كبيراً من مؤلفاتها حول الرحلة وتباينـاتها زماناً ومكاناً وثقافة. مروراً بكتابات "أنيس منصور" العديدة في أدب الرحلة، التي اتسمت أغلبها بطابعها الوصفي والصحفي؛ مثل (حول العالم في ٢٠٠يوم) و(بلاد الله لخلق الله) و(أعجب الرحلات في التاريخ)....إلخ.

وتستمر رحلة الكتابة في هذا اللون وصولاً إلى الأدباء والروائيين المتميزين من الجيل الجديد من الأدباء المعاصرين، الذين أخذوا هذا اللون الأدبي إلى قمم فنية جديدة، وصارت كتاباتهم ذوات أشكال ومضامين جديدة؛ مثل "صنع الله ابراهيم" و"علاء الأسواني" و"محمد المنسي قنديل". وغيرهم كثير من الكتاب المعاصرين الذين لا يزالوا يزودون المكتبة العربية بإبداعاتهم، وقد حملت كتاباتهم طابعاً مميزاً لعصرهم وقضاياه.

ومن بين هؤلاء الكتاب يأتي أديبنا العُماني "محمد بن سيف الرحبي"، الذي تقف هذه الدراسة على عالمه الروائي ونصوصه بالفحص العلاماتي والتحليل الدلالي، بوصفها الموضوع الرئيس وجوهر اهتمام الدراسة النقدي.

ويكاد يتفق النقاد على أن خطاب الرحلة في أدبنا العربي خطاب يقوم على عنصرين أساسيين لا يستغني أحدهما عن الآخر؛ حيث تزاوج النصوص في أبنيتها الفنية بين الحقيقة والخيال؛ بين السيرة الذاتية والإثنوجرافيا... بين الذات والآخر. بين الداخل والخارج؛ لذلك كله يظن الباحث أن

هذا اللون الأدبي كاد أن يكون موضوعة فنية تختص بجنس روائي بذاته، وأنه يمكن تصوره كجنس أدبي مستقل لثرائه النوعي والكيفي والكمي كذلك.

ويكشف لون كتابة الرحلة عن إمكانات فنية هائلة في نسيج الكتابة العربية، ناهيك عن طبيعة الفن الروائي ذاته التي تتسم بالحوارية، وتعدد الأصوات.

لذلك تبقى كتابة الرحلة واحدة من أهم الفنون الأدبية الجديرة بكل هذه المقاربات النقدية الجادة التي دارت حولها. وعلى الرغم من الجهد النقدي المبذول والمتواصل في تحليل خطاب الرحلة -بوصفه خطاباً روائيا وقصصياً- فهو لم يزل بحاجة للدّرس المعمق لاسيما في إطار انفتاح هذا اللون الأدبي على السرديّات، ومع ظهور مناهج نقدية جديدة معاصرة تعمل على تحليل الخطاب الأدبي، وتمكن الباحثين في فنون الأدب من الوقوف على ثيمة السّفر والارتحال بما تمنحه من معطيات فنية وجمالية للنصوص الروائية التي تتجلى فيها.

من هذا المنطلق وبناء على ما تقدم تأتي هذه الدراسة بوصفها حلقة بحثية من حلقات التحليل النقدي لكتابات الرحلة العربية المعاصرة، بمنهجية جديدة ترنو إلى فحص ظواهر النص وعلاماته السيميوطيقية الدالة؛ حيث تسعى الدراسة إلى الوقوف على روايات الكاتب العماني محمّد بن سيف الرّحبي[١]؛ الموسومة بـالآتي: « رحلة أبو زيد العماني[٢]، الخشت[٣]، السّيد مرّ من هنا[٤]، الشويرة[٥]، اسمها هند[٦]» والنظر فيها بمنظور سميوطيقي للعلامات.

وستعمل الدراسة على تحليل هذه الروايات نقدياً، والتعامل مع نصوصها السردية وما تمثله من مخزون لغوي ثقافي، بوصفه حقيقة سميوطيقية، تتجلى في ظاهرة أو علامة دالة، ومن ثم سوف يستعين الباحث وإجراءات بحثه هذا على ذلك التحليل الذي اتفق الدارسون على تسميته بـ "المنهج السميوطيقي"[٧] في تحليل النصوص، والتعرف على تلك العلامات التي يطرحها كل نص، ومحاولة التعرف عليها عبر مواضعها الجمالية من لغة النص الروائي، بوصفها العنصر المميز له. كما تسعى

---

[١]- محمد بن سيف الرحبي من مواليد ١٩٦٧، وسوف تقدم الدراسة في فصلها الأول محورا خاصاً بالمؤلف والتعريف بعالمه الروائي. وأعماله الروائية.

[٢] - رحلة أبو زيد العمانيّ: بيت الغشّام للنشر والترجمةط2، مسقط ٢٠١٣م.

[٣] - الخشت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط١، بيروت لبنان ٢٠٠٨م.

[٤] -السّيد مرّ من هنا: دار الإنتشار العربي، ط١، لبنان ٢٠١١م.

[٥] - الشّويرة: بيت الغشّام للنشر والترجمة، ط١، مسقط ٢٠١٤م.

[٦] -اسمها هند: بيت الغشام للصحافة والنشر والترجمة والإعلان، ط١، مسقط ٢٠١٦م.

[٧] يعتمد الباحث في هذه الدراسة على إجراءات التحليل السيميوطيقي على نحو ما تطرحه عدد من الدراسات المترجمة وكذلك الكتابات العربية الأصيلة في هذا المنهج؛ لعل أهمها قاطبة كتاب سيزا قاسم: القارئ والنص العلامة والدلالة. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٢م.

الدراسة إلى فك شفرات العلامات القائمة في النصوص محل البحث، وصولاً إلى كنه الدلالة القائمة في تلك العلامات من عناوين وفضاء روائي زماني ومكاني؛ الأمْر الذي يقود الباحث والبحث إلى تناول الخطاب الروائي السّرديّ المعبر عن الرحلة في مُتون روايات هذا الأديب -الذي لم يلتفت النقاد إلى إنتاجه الروائي بعد، سواء أكان في سلطنة عُمان أمْ في المنطقة العربيّة برُمتها- ولعل طرح إنتاج كاتب مثله والوقوف على طابعه الروائي الخاص والمميز لكتاباته، وبما تطرحه من تقنيات فنية جديدة إلى الساحة النقدية هو إحدى طموحات هذه الدراسة.

وتتجلى أهمية هذا الموضوع بالنسبة لحقل النقد الأدبي ونقد الرواية المعاصرة بخاصة، كما تأتي قيمة مثل هذه الدراسة لأسباب موضوعية كثيرة لعل من أهمها وفرة الإنتاج الأدبي الذي قدمه هذا الروائي الصاعد، وثراء المادة الفنية التي ضمتها رواياته، مع عدم التفات النقاد إليه، وإليها؛ لذا تضع الدراسة هذا الهدف وتلك الغاية نصب اهتمامها. إنّ هذا البحث المتعلّق بالرّحلة في روايات محمد بن سيف الرحبي يهدف إلى التعرف على هذه الهيئة المتفرّدة والمتميّزة في الكتابة الرّوائيّة عموما، والتّعرف على مختلف خصائصها وتجلياتها المعاصرة. كما يهدف إلى الوقوف على العلامات الروائية الدالة على تفاصيل ظاهرة الرحلة، ويرى الباحث أنّ اختيار روايات محمّد بن سيف الرّحبي هو اختيار مبرّر فنياً وموضوعياً لعدّة أسباب، من أبرزها:

لعل خطاب الرحلة في مدوّنة محمّد بن سيف الرّحبي يحتل مساحة كبيرة من نصوصه الفنية وبخاصة إنتاجه الروائي. كما يشكل تقنيّات سردية مختلفة وجديدة في خصائص كتابة الرحلة، وهي ما تزال موضوعًا بكرًا، لم يتداوله الدّارسون حتى الآن، على الرّغم من كثرة الدّراسات النّقديّة المتعلّقة بمسألة الرّحلة والإِرتحال والسّفر ذات المنحى الإِنطباعيّ والوصفيّ. ولم نعثر-إثر بحث مطوّل-على دراسة نقدية تناولت سرد الرّحلة في روايات محمد بن سيف الرحبي من وجهة نظر سِيميُولوجيّة؛ فيتتبع الباحث أبرز معالمها وأوجه تشكّلها فنياً، عبر اللغة وعلاماتها.

لهذا يسعى البحث إلى النظر في هذه الروايات كمتن أجْناسيّ ونسق لغوي له علاماته، ويهدف إلى توجيه إِهتمام الدّراسات النّقديّة بفنّ الرّحلة في الرّواية العُمانيّة بمنظور سِيميولوجيّ، حيث يغلب على مُتون روايات محمّد بن سيف الرّحبي تنقّل الشّخصيّة القصصيّة وارتحالها من فضاء زماني ومكاني قصصي إلى آخر، ويبدو هاجس الارتحال والسفر لدى الشّخصيّة المُرتحلة دوما كان حاضرا لدى مختلف الشّخصيات الرّوائية كما هو حاضر في ذهن الرّوائيّ نفسه.

كما أن هذا المنتج الروائي وهو قائم في أغلبه على موضوعة "الرّحلة"، فهو يعتمد -على ما تسعى لتوضيحه الدراسة- عدداً من تقنيات السرد الرّوائيّ الممكنة والمألوفة، وغير المألوفة، كما تبدو النصوص حريصة على تبني علامات الرحلة ومساراتها...وتتبّع الفواعل القصصيّة وهي تتلفّظ بالكلام، وتُنجزه نصاً، على نحو ما ستوضح الدراسة عبر فصولها الخمسة.

ويبدو أن محمد بن سيف الرحبي وقد اتخذ الكتابة الرّوائيّة القائمة على السّرد الرّحليّ كتقنيّة أساسيّة كامنة في رواياته الخمس، ينهلُ منها، ويحاورها، كما يظن الباحث وتفسره الدراسة، فهذا أمر أكثر غواية لمحللي خطاب الرحلة، كذلك ستبدو أغلب الشّخصيّات القصصيّة في هذا المُنجز الرّوائيّ على تنوّعها، وتعدّد وجهات النّظر لديها، للوهلة الأولى شخصيّات تروم التّرحال، والتنقّل، وتسعى إلى السّفر في فضاءات مكانية وزمانية متباينة بين الخيال والتاريخ، بين الصور والوقائع والعالم الافتراضي، بين الحقائق والأساطير واللعب الشعبية وتوظيفها كحيل فنية أو شفرات ثقافية.

وقد يبدو ذلك الأمر كله إشكاليّاً ومعقّداً، لأن كل هذه الفضاءات يتجاذبها التوتّر والهدوء بين الفيْنة والأخرى، في مختلف النصوص، ناهيك عن عوالم تخييليّة أخْرى تستدعي مرجعيّات ثقافية مختلفة، مثل العالم الافتراضي في "اسمها هند"، عوالم تنشدها الشّخصيّات على تباينها، وهي عوالمٌ ممكنةٌ، وبديلةٌ، تروم تجْسيدها، وتشييدها، وتنشد العيش فيها طالما أنّها شخصيّة مُرتحلة أساساً، تتبع العلامات، أو تبحث عنها، كما تبحث عن بديل. لذلك أظن أن البحث في هذه الروايات يعد بحثا سيميُولوجياً في المقام الأول.

كذلك يسعى الباحث ضمن ما تهدف إليه هذه الدّراسة الإنفتاح على نّصّ الرّحلة العربي المعاصر بشفراته المختلفة ومحاورته نقدياً في ضوء هذه المناهج الجديدة التي تهتم بتحليل الخطاب الروائي قدر ما تظهر انفتاح هذا الجنس الأدبي على السرديّات، وتمكن الباحثين في فنون الأدب من الوقوف على شفرات هذه الموضوعة وما تطرحه من معطيات فنية وجمالية للنصوص الروائية التي تتجلى فيها . كما ستبدو إحدى غايات هذه الدراسة مثل نظائرها «حيث الوقوف على الملامح الفنيّة والجماليّة التي تجعل النص يتراوح بين الواقعي والخيالي وآليات حضورهما في كل نصّ، وتتبع خطابات المُتخيّل عبر قنوات التّحويل

المجسّدة في اللّغة وظواهرها وعلاماتها مع ملامسة بنية الفضاء والزّمان اِرتباطا بمرجعيتهما»[1].

إن أغلب الدّراسات النّقدية السابقة على هذه الدراسة، وبخاصة التي تماست مع أعمال هذا الرّوائيّ –على قلّتها وهامشيتها– لم تسع للغوص في أعماق هذا المنجز الرّوائيّ، وتتبّع صيغ الخطاب المرجعيّ والتّخييليّ فيه؛ فتنوعت تبعا لذلك معالم القصديّة والغايات لكل باحث نقديّ، إذ لم تفرد لهذا الرّوائيّ دراسة مخصوصة ومُتميّزة للرّحلة والترحال عنده، وإنّما عمد النّقاد -على اختلافهم وتنوّع مشاربهم واتجاهاتهم النّقدية- إلى مقاربة مُتونه الرّوائية مقاربةً سطحيّة وصفيّة، لا تلامس ولا تتفاعل مع الكمّ الإبداعيّ والرّوائيّ الكامن في وحداته القصصيّة، وبالتّالي لا تلامس هيئة الكتابة الرّوائية من خلالها فاتصلت هذه الدّراسات حينا بالبطل الملحميّ والإشكالي وهيئة تشكّله أو بجماليّة الفضاء القصصيّ وتحوّلاته ودلالاته وغير ذلك من المسائل الأدبية ذات العلاقة. إنّ الدراسات النقدية على ندرتها في هذا المجال النّقدي لم تتناول مسألة الرّحلة والسّفر والسّرد الرّحليّ بالدّرس والتّحليل المعمّق المُفضي إلى تقصّي حقائق هذا الجنس الأدبيّ وتبيّن خصائصه السّرديّة والنّظر في آلياته وسُبل تشكيل وحداته السّرديّة.

حتى بعض الدّراسات النّقدية التي حاولت أنْ تلامس هذا الموضوع وأنْ تبلور رؤية متميّزة للرّحلة وأدب الرّحيل، بالرغم من محاولتها التميّز والتّفرد فهي لا تخلو من السّلبية. ذلك أن هذه الدّراسات لم تنتبه إلى ضرورة استبانة حدود الرّحلة ومعرفة خصوصياتها والنظم المتحكمة فيها والوظائف التي تنهض بها. واكتفت بإشارات من حين إلى آخر إلى تاريخية فن الرحلة وبعض التقنيات القصصية فيها مما لا يحقق المقصد والغاية.[2]

---

[1] - ميلود الهرمودي: تقاطع الواقعي والخيالي في الرحلة الجزائرية منشورات مختبر السرديات،المغرب، ٢٠١٥، ص٧٩

[2] - ينظر مثلا محاولة:

- مريم بنت حميد الغافرية: أدب الرحلات العمانية، بيت الغشام للنشر والترجمة، مسقط،ط١، ٢٠١٣م.

- محمد الخبو: الهامش والمركز بين الوصف والسرد. الثعبان لصنع الله إبراهيم نموذجا -القطاع الهامشي في السرد العربي. تأليف مجموعة من الأساتذة. دار البيرونى للنشر. سلسلة قبسات، ص: ١٤٧ .١٨٢ حيث تناول مسألة السرد والوصف في الرحلة.

- بلقاسم مارس: فن الرحلة في الرواية العربية من خلال الأشجار واغتيال مرزوق لعبد الرحمان منيف، دار نهى للنشر، صفاقس ٢٠٠٧م.

- الرواية والسفر: تقاطعات التخييلي والتسجيلي، تنسيق وتقديم شعيب الحليفي، تأليف مجموعة من المؤلفين، منشورات مختبر السرديات، المغرب ٢٠١٥م.

لكل هذه الأسباب المجتمعة فإن الباحث يرى أنّ تميّز الرحلة التي يقدمها هذا الروائي الصاعد، وتفرد الذات المرتحلة في هذا المنجز الروائي العُماني العربي، على نحو يثير ذهن المتلقي، هي فكرة ترتقي إلى مستوى الإشكال الأدبي؛ ومن ثم بدت جديرة بالبحث المعمق والدراسة المتأنية لتقصي مكونات هذه الذات المرتحلة وتشكلاتها في عالم محمد بن سيف الرحبي الروائي، والوقوف على مبررات الرحلة، وإنجازها الفني، ومعرفة خباياها الجمالية، بوصفها تجربةً روائيةً عربية جديدة في سلطنة عمان.

ولمّا كان فن الرواية فناً إبداعياً يعتمد على اللغة كأداة تعبيرية، ويكشف بها عبر تفاصيل صياغة النصوص عن علاقة رؤية الأديب عن رؤية الروائي للحياة والإنسان؛ فإن هذه الرؤية عامل مؤثر لا في اختيار الأديب لموضوع العمل الأدبي ومضمونه فحسب، ولكنها تشكل أيضاً عاملاً حاسماً في تحديد وفرض أدوات التعبيرالتي يعبر بها الأديب عن عمله الأدبي..[1] لذا تسعى هذه الدّراسة إلى تولّى البحث في الجانب المرجعيّ والتّخييليّ بِاعتبار النّصّ الرّوائيّ هو نظام من العلامات اللّغويّة الدالّة بالضّرورة في إطار العلاقة بين الدّال والمدلول، واعتباطية العلامة اللّغويّة وقد اختار الباحثُ أنْ تعتمد الدراسة على تحليل الخطاب تحليلاً سِيميُولُوجيّاً؛ بحكم تقنيّة الخطاب الإحاليّ والعلاماتيّ الكامن في كلّ ملفوظ لغويّ روائيّ كان أو غيره، كالخطاب الإيمائي القائم على التّخاطب بالإشارات المسرحية، أو ما تُحيل عليه العلامةُ اللّسانيةُ في الواقع كما في الخيال.

ولا شك في أن خطاب الرّحلة في الرواية العربية المعاصرة، بما يتطلّبه من تداخل خطابات أخرى تنهلُ من الوثائقي المرجعيّ[2] والتّخيليّ في آن واحد، إنما هو فنٌ في تشكيل الكتابة الرّوائيّة العربية بخصائصها الجديدة، ومن فرضيات هذه الدراسة أنّ الرّحـلة في روايات الرّحبي نظامٌ من القيم، والظواهر والعلامات ولها هيئة في تشكيل الكتابة الرّوائية من شأنها أنْ تؤسّس أبعادا متباينة للنّص، وهي أبعاد واقعيّة وتخييليّة في آن واحد من خلال مشيرات وعلامات لفظية تسهم بدورها في

---

[1] ينظر: عبد المحسن طه بدر: نجيب محفوظ الرؤية والأداة (١). دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨م. ص٥.

[2] - يكون الخطاب مرجعيا عندما ينهض بدور تعيين ما هو خارج عن نطاق القول من عناصر ملموسة كالطّائر والشجرة والقلم. وقد تكون مجرّدة مثل الحرّية والحب ويكون المرجع المحال عليه قائما في التاريخ متداولا بين الناس كالخبز ويكون هذا المرجع متخيلا لا يوجد حقيقة إلا في النص السردي«Charles WKreidler». ينظر معجم السرديات تأليف مجموعة من الأساتذة ،إشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر ، ٢٠١٠، ص ١٨٧.
وينظر كذلك لسان العرب: رجع يرجع رجعا ورجوعا ورجعى ورجعانا ومرجعا ومرجعة...أرجعت الإبل إذا هزلت ثم سمنت وفي التهذيب: قال الكسائي إذا هزلت الناقة قيل أرجعت وأرجعت الناقة فهي مرجع حسنت بعد هزال..ابن منظور ..لسان العرب المجلد الثامن دار صادر بيروت ١٩٩٠ ص ١١٤,١١٧.